مفاهيم إسلامية

(٧)

مشاكل المرأة المسلمة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[سورة التوبة:٧١]

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب ليس دفاعًا عن المرأة المسلمة، أو عن حقوقها أو دورها في المجتمع الإسلامي، كما أنه ليس دفاعًا عن الإسلام وإظهار أنه دين أنصف المرأة أو أعطاها حقوقها، ولكنه دعوة للمرأة المسلمة سيدة كانت أم فتاة للاضطلاع بدورها الطبيعي والحتمي في النضال والجهاد من أجل استعادة السيادة الحضارية لأمتنا، لأننا اليوم في حالة هزيمة حضارية وبالتالي فإن استعادة هذه السيادة الحضارية يحتاج لجهد وجهاد ونضال كل مسلم رجلاً كان أم امرأة، نعم نحتاج لجهد الجميع من أجل الإقلاع الحضاري وكسر منحنى الهبوط والتصدي لكافة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه أمتنا.

إن أمتنا اليوم تعيش في حالة هزيمة حضارية وتخلف على مستوى ضياع الكثير من أراضي المسلمين، واستهداف بلادهم للاستعمار والتجزئة والاستبداد، ونهب ثرواتهم، واختراقهم سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وإعلاميًا وثقافيًا وبالتالي فإن كل مسلم رجلاً كان أم امرأة مطالب بالاضطلاع بواجبه للخروج من هذه الحالة والانتصار على التحديات وتجاوزها.

ومن المفروض أن أقول مثلاً: إن المرأة المسلمة مطالبة بالجهاد والنضال والمشاركة في معارك الأمة بشرط أن يكون ذلك في إطار الضوابط الشرعية، ولكنني أضيف هنا أن تلك الضوابط الشرعية ليست مطلوبة في حالة المرأة فقط ولكنها مطلوبة في حالة المرأة والرجل وفي كل موضوع وفي كل قضية.

إن عملية النهوض الإسلامي التي نحن بصددها تتعرض لكثير من التشويش

والتطويق والتزييف في محاولة لوأدها أو تطويقها، وهؤلاء الذين يريدون القضاء على النهوض الإسلامي من الأعداء في الداخل والخارج لم ولن يتركوا قضية إلا وأثاروا حولها الشبهات، وكلما كثرت أراجيفهم وشبهاتهم في قضية أدركنا أهميتها وخطورتها، لأنه لولا تلك الأهمية والخطورة لما اهتموا بها، فهم مثلاً يثيرون الشبهات حول قضية الجهاد لأنه الطريق الطبيعي والوحيد أمام أمتنا لانتزاع حقوقها واستعادة مكانتها الحضارية وتجاوز التحديات، وهم يثيرون الشبهات حول قضية المرأة في الإسلام، لأنهم يدركون أن المرأة المسلمة حين تشارك في الجهاد والنضال الإسلامي العام سوف تكون عاملاً مهمًا في ترجيح كفة الإسلام على أعدائه في الداخل والخارج وبالتالي تشكل خطرًا هائلاً على المشروع الاستعماري المعادي للأمة، ورصيدًا ضخمًا للمشروع الإسلامي الذي يستهدف إنهاض الأمة وتجاوز تحدياتها واستعادة سيادتها الحضارية.

وفي هذا الصدد فإننا بإزاء تيار رئيسي في الأمة الإسلامية المعاصرة يستلهم موقفه الأصيل من الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكافة مصادر ووسائل التشريع الصحيحة والمعمول بها، وهذا التيار يعرف للمرأة حقوقها ويدفعها إلى المشاركة الواسعة في معارك الأمة في كل مجال، وعلى جانبي هذا التيار الرئيسي هناك تياران هامشيان؛ أحدهما يتمثل في تيار متزمت انفرادي يخلط بين ما هو شريعة وما هو تقاليد أو عادات ويريد إخضاع المرأة المسلمة لحالة من العزلة وحبسها في التقاليد بحسبانها من الإسلام، والثاني يتمثل في تيار تغريبي مرتبط بالاستعمار يريد أن يحول المرأة إلى سلعة تجارية ويجردها من إنسانيتها ويدفعها في طريق الانحلال والتغريب ومعاداة ثقافتها ودينها، ويزعم هذا التيار أنه يريد تحرير المرأة في حين أنه يريد تبعية المرأة والرجل والمجتمع بأسره للاستعمار والخضوع له.

ومن العجيب أن لهذا التيار الذي يزعم تحرير المرأة، موقفًا مشينًا من تحرر المجتمع كله من الاستعمار والتبعية، بل إن كل رموز هذا التيار بلا استثناء معروفون بعمالتهم للاستعمار والدعوة للخضوع له بدءًا من قاسم أمين وانتهاء بلويس عوض ونوال السعداوي، والأكثر عجبًا أن هذا التيار يرفع المومسات والمشبوهات والبغايا اللائي تهتكن مع جنود الاحتلال فيجعل منهن رموزًا لتحرير المرأة، ولا ندري كيف يكون تحرير المرأة من خلال الدعارة مع جنود الاحتلال أو الدعوة للخضوع لثقافة المحتل وعسكره.

إن الرموز الحقيقية لتحرر المرأة هن اللاتي خُضْنَ المعارك من أجل استقلال بلادهن والدفاع عن الأرض والثقافة والهوية من أمثال لالا فاطمة التي قادت انتفاضًا مسلحًا ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر في أوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو شهيدات ثورة التحرير الجزائري ١٩٥٤ - ١٩٦٢ أمثال الشهيدة فضيلة سعدان أو أم محمد أو زوجة الملازم سيد الأخضر أو تلك المرأة الفلسطينية التي تشارك في الانتفاضة، أو عواطف عليان وهي شابة فلسطينية تنتمي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكانت قد استعدت لقيادة شاحنة ملغومة لنسف مجلس الوزراء الفلسطيني سنة ١٩٨٨ لولا أن اكتشفت هذه العملية، أو تلك المرأة الإيرانية التي شاركت في الجهاد ضد الشاه أو تطوعت للقتال في صفوف جيش الثورة، أو المرأة السودانية التي تخرج في المظاهرات أو تمارس الجهاد ضد التمرد في الجنوب أو المرأة الأفغانية التي شاركت في تحرير بلادها من الاستعمار الروسي أو المرأة المصرية التي شاركت في الكفاح المسلح ضد الحملة الفرنسية أو شاركت في ثورة ١٩١٩ أو تلك التي دخلت السجن دفاعًا عن عقيدتها مثل زينب الغزالي أو حميدة قطب أو تلك التي وقفت بجانب ابنها وافتخرت به بل وحققت أقصى

استثمار سياسي قام به ابنها وهي أم خالد الإسلامبولي التي لولا موقفها في التضامن مع ابنها والافتخار به أثناء المحاكمة أو بعد إعدامه لضاع الأثر السياسي لحادث المنصة.

وفي الحقيقة فإن جهدنا الرئيس في هذا الكتاب سينصب على المواقف الجهادية والنضالية للمرأة المسلمة في مصر على أساس أنه من المفروض أن يقوم بإجلاء دور المرأة المسلمة في البلدان الأخرى عناصر من تلك البلاد أو على صلة مباشرة بتاريخها وحاضرها وعلى علم ودراسة بأبعاد تلك المشاركة، وهي مشاركة كبيرة وخاصة في بلدان مثل لبنان وفلسطين وأفغانستان والجزائر وإيران وغيرها.

والحديث عن الدور الجهادي والنضالي للمرأة المسلمة في مصر في العصر الحديث ما هو إلا امتداد لجهاد ونضال المرأة المسلمة في فجر الإسلام، من المعروف أن أول من أسلم كانت امرأة هي السيدة خديجة، وأول من استشهد في الإسلام كانت امرأة هي السيدة سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعًا، وكذلك هناك النساء المسلمات في عصر النبوة ممن شاركن في القتال مثل أم عمارة أو من تصدى للنضال السياسي مثل أسماء بنت أبي بكر وغيرهن، وعلينا أن ندرك أن الشريعة الإسلامية لا تمنع المرأة المسلمة من الجهاد والنضال في كل الأحوال وتجعل هذا الجهاد والنضال فريضة في بعض الأحوال.

على أي حال فإن للدكتور حسن الترابي رأيًا في غاية الأهمية بصدد اضطلاع الإسلاميين بدورهم الطبيعي في تحرير المرأة المسلمة، يقول حسن الترابي في كتابه الهام «المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع ص ٤٨ إن الثورة على الأوضاع النسوية التقليدية آتية لا محالة، ولئن كان للإسلاميين داع من دينهم لإصلاح القديم ولطي البعد القائم بين مقتضي الدين الأمثل في شأن المرأة وواقع المسلمين الحاضر

فإن اتجاهات التحول في ذلك الحاضر تدعو بوجه ملح إلى المبادرة والتعجيل في الإصلاح الإسلامي قبل أن ينفلت الأمر وتتفاقم الاتجاهات الجاهلية الحديثة وليحذر الإسلاميون من أن يوقعهم الفزع من الغزو الحضاري الغربي والتفسخ الجنسي المقتحم في خطأ المحاولة لحفظ القديم وترميمه بحسبانه أخف ضررًا أو شرًا، لأن المحافظة كما قدمنا جهد يائس لا يجدي والأوفق بالإسلاميين أن يقودوا هم النهضة بالمرأة من وحل الأوضاع التقليدية لئلا يتركوا المجتمع نهبًا لكل داعية غربي النزعة يصل به عن سواء السبيل، ومستظهرًا بتبرم الناس من جنوح أوضاع المرأة وباتجاهات الحياة الحديثة، ذلك فضلاً عن أن الدين يقتضيهم ابتداء أن يكونوا أئمة هدي ينقذون الناس من كل ضلال قديم ألفوا عليهم آباءهم الأولين ويعدلون بهم عن كل بدعة محدثة».

د.محمد مورو